

الإسلام والوطنية و جهاد الأمة الجزائرية من ثورة الأحرار إلى ثورة التحرير

الأستاذ الدكتور صالح فرحوس
جامعة قلمة

في المعاملة مع الكفار بين المحارب
والمسلم .

أما السنة النبوية الشريفة فقد أكدت
هذا الأصل في حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم الذي رواه ابن عباس رضي
الله عنهما في قوله ﷺ ملكة المكرمة:
«ما أطيبك من بلد، وما أجبك
إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما
سكنت غيرك» [أخرجه الترمذي] .
كما أن هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة
المنورة تعد أول نجاح في إنشاء وطن

لقد أقر الإسلام حقيقة الوطنية.
وجه الاستدلال ، قوله تعالى : { لا
ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم
في الدين ولم يخرجوكم من دياركم
أن تذبذبوهم ونفسكوا إليهم إن الله
بالباطل مهبط } ، أي لا ينهاكم
الله عن إكرام من لم يقاتلوكم
على الإسلام ، ولم يخرجوكم من
الأوطان، بل تعاملوا معهم بالعدل
و الإحسان، لأن الله يحب العدل في
معاملته و أحكامه، وفيه التفريق

كيف ندرك فكرة الوطنية عند ابن باديس،
حينما طرح على نفسه سؤالاً دقيقاً ومحدداً
: « لمن أعيش » فكان جوابه واضحاً:
« أعيش للإسلام والجزائر » .

5- ثورة التحرير الجزائرية المباركة:
كيف تجسدت فكرة الوطنية في إطار
المبادئ الإسلامية ؟ .. وثائق الثورة
ومواثيقها ومواقفها .. موافق رجال
وأبطال وشهداء نبرزها - إن شاء الله -
من خلال وثائق تنشر لأول مرة .

أولاً - الإسلام والوطنية عند الأمير عبد القادر :

سعى الأمير عبد القادر إلى بعث
الروح الوطنية في الأمة الجزائرية في
إطار تعاليم الإسلام. لقد كان خطابة
في تحريضه الناس على الجهاد تتردد فيه
مثل هذه العبارات: « دينكم، بلادكم،
أرضكم » بل تجاوز خطابه بني فلان،
وبني فلان، إلى الشعب إلى المواطنين

قامت على أساسه الدولة الإسلامية.
ولكن السؤال الذي يطرح: كيف أن
جهاد الأمة الجزائرية ضد الاحتلال
الفرنسي كان يستمد طاقته المتأججة
بالإيمان من حب الوطن (الجزائر)
والإسلام ؟

هذا السؤال الكبير يقودنا إلى طرح
أسئلة فرعية :

1- هل يمكن لنا من خلال الوثائق
والمصادر، معرفة كيف كانت مواقف
الأمير الإسلامية والوطنية ؟

2- كيف كانت مواقف الثورات
الجزائرية إلى غاية مجازر 8 ماي 1945
من الإسلام والوطنية ؟

3- ما هو الطابع الذي ميز الحركة
الوطنية ؟

4- كيف كان أول تعبير لابن باديس
حول قضية الوطن؟ وهل من مغزى للشعار
الذي حملته جريدة «المنتقد»: الحق فوق
كل أحد، والوطن قبل كل شيء؟ ثم

ثانيا- الإسلام والوطنية عند الحاج أحمد باي قسنطينة :

الحقيقة ، بالرغم من اعتقاد الباي أنه ،،الوارث الشرعي ،، لحكومة الداى حسين التي سقطت، وبالرغم من محاولات الأمير لحملة على الوحدة ضد العدو المشترك، إلا أنه حارب المحتل لمدة طويلة. لقد كتبت عنه جمعية العلماء مشيدة بمقاومته يوم احتفل المستعمر بمناسبة مرور مائة سنة عن احتلال قسنطينة ، مايلي: «ويكفيه افتخارا- أي الحاج أحمد- أن تاريخ الجزائر يشهد له يوم هاجم المحتل قسنطينة أن وجد في هذا الباي عدوا لدودا، قاد ضده مقاومة عنيفة».

ثالثا: الإسلام والوطنية عندالمجاهد بومعزة (1845-1846):

لقد كتب عنه الضابط الفرنسي «شارشال ريشار» Richards

حيثما كانوا...ولم تعرف الجزائر من قبل قائدا من أبنائها استعمل هذا الخطاب. وتتفق معظم روايات القادة الفرنسيين على أنه كان يعمل على بعث «قومية عربية»، يقول تشرشل : «تقدم عبد القادر إلى بني وطنه بفكرة بسيطة وعظيمة في نفس الوقت، وهي فكرة قومية عربية».

لقد أسس الأمير دولة إسلامية وطنية، كان يسعى من خلالها لإحياء نظام الحكم الراشد، فتجاوبت مع الأمير مشاعر كثيرة متأججة بالإيمان حبا في الإسلام والوطن.

وقد عثرنا على وثيقة استعمارية بأرشييف إكسن-أون-بروفنس بفرنسا، تبين وطنية الأمير في إطار تعاليم الإسلام، كما تصف إدارته بأفضل إدارة في تنظيمها حتى من الإدارة الفرنسية.

خامسا: الحركة الوطنية:

تبلورت فيها حقيقة الشخصية الجزائرية وحقيقة الهوية الوطنية الإسلامية: الجزائر أمة ووطن رافضة بذلك فكرة الإدماج وفكرة «الجزائر فرنسية». كما حملت جمعية جمعية العلماء راية الإسلام والجزائر الوطن، تدافع عنهما بكل ما أوتيت، وبرزت فكرة «الإسلام والوطنية» عند ابن باديس واضحة جلية، حينما طرح على نفسه سؤالاً دقيقاً ومحدداً «لمن أعيش؟ فكان جوابه كذلك دقيقاً ومحدداً: «أعيش للإسلام والجزائر». أما شعار جريدة المنتقد: «الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء» فالحق هو الله عز وجل والوطن لا مساومة فيه.

سادسا: مجازر 8 ماي 1945:

تتكلم الوثائق الفرنسية السرية التي عثرنا عليها بأرشيف إكس عن قضية الإسلام

(Charles): «إن ثورة بومعزة لا يمكن أن تكون سوى ثورة تيار متعصب نابع من شعب محكوم عليه بالحرب المقدسة (الجهاد)». فمنطق الاستعمار كان يعتبر «الوطنية» تعصبا والجهاد ضد المعتدي الغازي «حرباً مقدسة». كان بومعزة يلوح بسيف الجهاد، ويعلن للأمة أن لا تياس ولا تحزن» فيثبت الحائر ويهرب الجائر، وينشط الحائر فإذا معظم الجزائر في ثورة عارمة...»،

رابعا: ثورة بوزيان (الزعاطشة) وثورة بوبغلة ولالة فاطمة نسومر وعمار بوقديدة، وسي صدوق بلحاج، أولاد سيدي الشيخ والمقراني وبوعمامة. كل هذه الثورات هزت أركان الاستعمار، فإذا بريح الوطنية تطوي المسافات وإذا بروح الإيمان تدفع إلى الجهاد، لتصبح تلك الثورات شعلة واحدة تحرق وجه العدو الدخيل.

من مواقف وشهادات تاريخية حية عن
الإسلام والوطنية ؟

1 - بطاقة جيش التحرير وجبهة

التحرير الوطني تبين هذه الحقيقة:
الإسلام والوطنية

2 - رسالة مجاهد جزائري (وثيقة

للتاريخ والأجيال) :

الوثيقة التي بين أيدينا هنا هي من إمضاء
المجاهد الشريف ملازم ثان، بتاريخ 29
نوفمبر 1958 م ، وهي رسالة أخوة ومحبة
بعث بها المجاهد علي بن مشيش الممثل
للولاية رقم 1، أوراس النمامشة.
ولئن كان أمثالهما يظل في الخفاء، فإن
الذي نستقيه من هذه الرسالة (الوثيقة
التاريخية) صدق التوجه وإخلاص النية
في سبيل الله.

إنك أخي القارئ حين تتأمل عبارات
هذه الرسالة وصاحبها يخاطب رفيقه في
الجهاد لا تملك إلا أن تخشع وتستكين
لله رب العالمين ، ذلك أن نعم الخطاب

والوطنية فتصف المجازر بأحداث خطيرة
وإضطرابات حرضت عليها العناصر
الوطنية المسلمة .

كما بعث الحاكم العام تقريراً سريراً
إلى وزير الداخلية بتاريخ 50 أكتوبر
1945 حول أحداث 8 ماي يقول فيها:
«...إن هذه الأحداث أيقضت الشعور
الديني والوطني للأهالي...»

سابعاً: ثورة نوفمبر المباركة:

لا شك أن موثيق الثورة الجزائرية
أكدت على حقيقة الإسلام والوطنية
وإنصهار الأمة الجزائرية في بوثقتهم.
برز ذلك جلياً في بيان فاتح
نوفمبر 1954 «إقامة الدولة الجزائرية
في إطار المبادئ الإسلامية » كذلك
ميثاق الصومام وطرابلس كلها
أكدت على إنتماء الأمة الجزائرية
(هذا كله معروفاً في التاريخ وفي
تلك الموثيق) ، ولكن هل من جديد

3 - «أقسمنا أمام الله أن نكون

جنود التضحية» (وثيقة تاريخية).

يؤكد تلك الحقيقة التاريخية، ما سجلته لنا جريدة المجاهد اللسان المركزي لجهة التحرير الوطني بتاريخ 1958/08/28م، العدد 28 ص16، عن لسان الصاغ الأول للولاية الأولى، أحمد بن عبد الرزاق، أحد ضباط جيش التحرير:

من النشورية الداخلية التي تصدر في الولاية الأولى (أوراس النمامشة) تنقل هذه الرسالة التي يجدر بكل جزائري أن يطلع عليها.

«إننا نعيش ثورتنا...

«إننا نعتبر أنه يجب وجوبا أكيدا ومحتما على كل جزائري سواء كان داخل الجزائر أو خارجها أن يقوم بما تستلزمه حربنا التحريرية، كما يجب عليه أن يحاسب نفسه وبوسائل ضميره هل هو عامل ومتحمل مثل ما يتحمل كل مجاهد.

«إننا نحن ضباط وجنود جيش التحرير

حين يخاطب المجاهد رفيقه في الجهاد قائلا:» إلى فضيلة أئحينا في الدين وفي الكفاح وفي الوطن.»

إنها العناصر الأساسية لمبادئ ثورة نوفمبر : الدين والجهاد والوطن.

ثم يسترسل الرجل في كلامه قائلا: «.. والحمد لله على هاته النعمة التي أنعم الله علينا بالإتحاد والأخوة التامة». وإنما فعلا لنعمة كبيرة لا يقدر قيمتها إلا من أدرك سر قوتها بعد أن عانى وحشة الفرقة وضعف الإنقسام وفتنة التناحر والتطاحن .

ثم يواصل فيقول :» .. ولا أقدر أن أقول لك شيئا بأنك تعرفني وتعرف كل ما إنطوت عليه أفكارنا وعقولنا (كذا) قبل: هذا قبل الثورة المباركة فضلا عن اليوم يوم الكفاح، يوم الجهاد المقدس وجزاؤنا كله عند الله هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ! ومن أساء فعلها وماربك بغافل عما يعمل الظالمون».

وخير العباد وسيادة البلاد) ...! وما
أخلص فيها هذا الدعاء! ...
ملاحظة:

1/ تعتذر هيئة التحرير عن نشر
الوثائق المشار إليها في المقال لعدم
وضوحها.

2/ الموضوع موثق وله مراجع.

الوطني قد أقسمنا أمام الله والتاريخ أن
نكون جنود التضحية والفداء في سبيل
عزة الجزائر وانتصار المبادئ العليا التي
نشرها الإسلام في عصره الذهبي.

«سدد الله خطانا جميعا ووحد كلمتنا
لخير العباد وسيادة البلاد، والسلام»
إنها رسالة ثورة نوفمبر... فما أجمل
فيها هذه التضحية وهذا الفداء! ...وما
ألطف فيها هذا النداء (وحدة الكلمة

